المحور **الأول**:
(النهضة الأوربية ، الكشوفات الجغرافية)

المحاضرة الثانية
أوضاع أوربا والتحولات الكبرى (الكشوفات الجغرافية)

تعريف الكشوف الجغرافية :

هي رحلات قام بها مجموعة من الاوروبيين لمناطق جديدة لم تكن معروفة في القرنين الخامس عشر و السادس عشر . فقد قامو ا بها من أجل شراء منتجاتهم من المناطق الشرقية، بعد أن أصبح المسلمون يطالبون الأوروبيين بدفع ضرائب غالية على بضائعهم ، لذلك قرر الأوروبيون مقاطعة مناطق التجار المسلمين ، والبحث عن طريق يوصلهم الى جزر الهند مباشرة دون الاتصال بالمسلمين، وقد بدأت البرتغال وإسبانيا في حركة الكشوفات الجغرافية أولاً .

دوافع الكشوف الجغرافية الأوروبية

1- الدافع الديني :لاشك أن الدافع الديني كان له أثره الفعّال أيضًا في نشاط المغامرات الاستكشافية، فقد كان الأوروبيون -وعلى الأخص الأسبان- تصلهم معلومات عن بلاد يستطيعون جعلها ميدانًا للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية ، والتوغل فيها عن طريق الدين، وفي الوقت عينه كانت لهم أهداف انتقامية موجهة نحو المسلمين ، كما فعلت البرتغال التي جعلت شعارها في هذه المرحلة ضرب قوة المسلمين في غرب أفريقيا. وفي الوقت عينه حازت حركة الكشوف الجغرافية على رعاية واهتمام البابوية، من تشجيع للملوك على دعم البحارة، ومدهم بما يحتاجونه من مؤن ورجال.

2- الدافع الاقتصادي : من أهم الدوافع التي أوحت للأوروبيين بالاتجاه نحو الكشف عن تلك البلاد المجهولة والطرق البحرية الجديدة بين أوروبا والهند، فقد كانت أوروبا في حاجة شديدة إلى البهارات والتوابل التي كانت تستورد من الشرق، لكن هذه البضاعة لا تصل إلى الأوروبيين إلا بعد أن تمر في عدة احتكارات ترفع أسعارها وتُحدد كمياتها، وتجعلها في بعض الأحيان نادرة، فهم-أي الأوروبيين- يدفعون رسومًا جمركية فادحة يفرضها حكام مصر والشام،بالإضافة إلى احتكار تجار جمهورية البندقية نقل تلك البضائع من الموانئ السورية والمصرية إلى أوروبا.

لذلك سعت الدول الأوروبية إلى إيجاد طرق ووسائل جديدة للتجارة ، لا تخضع للسيطرة العربية ، وذلك لتامين تجارتهم ، والحصول على البضائع بأثمان منخفضة وبكميات كبيرة، وكذلك وهو الأهم منع استفادة البلاد العربية من مرور التجارة عبر أراضيها.

3- الدافع السياسي :وهي أطماع الدول الأوروبية في الحصول على دول جديدة ، واكتشاف مستعمرات من أجل زيادة نفوذها الاستعماري وممتلاكاتها . وكان الغزو البرتغالي لمدينة سبتة سنة 1415، الخطوة الأولى في طريق اكتشاف جغرافية العالم، والخطوة الأولى في سياسة البرتغال الاستعمارية.

وخلاصة القول إن الكشف الجغرافي لم يكن هدفا في حد ذاته وإنما جاء نتيجة أغراض تطلعت إليها دول غرب أوربا وخاصة البرتغال وإسبانيا ، تهدف إلى مواصلة الحروب الصليبية ضد المسلمين وإخضاعهم، إضافة إلى تأمين تجارة التوابل والبحث عن الذهب. وهكذا امتزج بالروح الصليبية عامل إقتصادي. وامتزجت الدوافع الدينية مع الدوافع الإقتصادية. لقد كان اكتشاف أمريكا ابتداء من سنة 1492، واكتشاف الطريق البحري حول رجاء الصالح سنة 1498، نتائج مهمة في تاريخ أوربا الحديثة وتاريخ العالم الحديث.

1- حركة الكشوف البرتغالية:

تُعتبر البرتغال أول دولة أوربية بدأت حركة الكشوف الجغرافية ، وحققت نتائج هامة على هذا الصعيد، وقد ساعدها على النجاح في هذا الأمر مجموعة من العوامل من أهمها،وجود السفن المتطورة، وجود أجهزة حديثة مثل البوصلة، زيادة الاهتمام بعلم الجغرافية والاستفادة من كل تراث المسلمين سواء على صعيد الكتب الجغرافية والخرائط. لقد حظيت فكرة الكشف الجغرافي بتأييد الأمير هنري الملاح (1460-1394) الابن الثالث لملك البرتغال جواو الأول، وكان هنري مسيحيا متحمسا لنشر المسيحية ، واهتم بالجغرافية والفلك وتطوير السفن، بدأ عمله بتأسيس أكاديمية بحرية ومرصد ، وفي الوقت نفسه جمع عددا من علماء الجغرافيا، ومجموعة من الخرائط المتوفرة في عصره. واستولى الأمير هنري على مدينة سبتة في المغرب سنة 1415، وعيّنه أبوه حاكماً عليها، وحاول الاستيلاء على مدينة طنجة، لكنه فشل بسبب دفاع المجاهدين عنها، وبعد ذلك توجه للشواطئ الأطلسية، وسيطر على المناطق الواقعة بين نهر السنغال وغانا، واهتم بنشر المسيحية هناك، ولتمويل مشروعاته الاستعمارية عمل على التجارة بالرقيق الأفارقة، وكانت معلومات الأوربيين عن ساحل إفريقيا الغربي تقف عند رأس نان (Cap Nan).

واستطاع البرتغاليون أن يتقدموا على طول الساحل الإفريقي نحو الجنوب حتى وصلوا إلى رأس بوجادور (Cap Bajador) ، حيث شرعوا يرتادون المنطقة الصحراوية ، ثم واصل البرتغاليون حركة الكشوف حتى وصلوا إلى الرأس الأبيض (Cap Blanco)، ثم تجاوزوه إلى مصب نهر السنغال، ثم تبع ذلك اكتشاف الرأس الأخضر (Cap Verde) . ومع ظهور شخصية كادا موستو(Cada-Mosto) الإيطالي الأصل، الذي أسندت إليه مهمة مواصلة حركة الكشوف وتنظيم التجارة مع المناطق المكتشفة ، فقد وصل إلى رأس روكسو (Cap Roxo)، ومنها إلى سيراليون التي تعد أقصى ما وصلت إليه حركة الكشوف

البرتغالية في عهد الأمير هنري الملاح. وبوفاة هنري الملاح عام 1460 توقفت القوة الدافعة لحركة الكشف الجغرافي لفترة تزيد عن 40 سنة.

وتمكن البرتغاليون بعد هنري الملاح من الوصول إلى مصب نهر الكونجو، وأصبحوا يحتكرون الملاحة على الساحل الإفريقي الغربي، ولم يُسمح للآخرين بالملاحة في المنطقة إلا بإذن البرتغاليين، لكن تعطلت جهود البرتغاليين في الكشوف الجغرافية بسبب قيام الحرب بين الأسبان والبرتغاليين بين عامي 1475 إلى 1479، وكذلك ما حدث من اضطرابات داخلية أوقفت الحملات الكشفية، لكن البرتغاليين عادوا للكشوف الجغرافية عندما أرسل الملك جواو الثاني سلسلة من البعثات الكشفية منها رحلة دييغو غاو الذي قام بوضع أعمدة حجرية على السواحل التي تم اكتشافها في إفريقيا ، فقد وضع أولها عند مصب نهر الكونغو عام 1483، والثاني وضعه عند دائرة جنوب خط الاستواء. وفي سنة 1488 بارتلوميو دياز (Bartholomeu Diaz) الوصول إلى رأس الرجاء الصالح، ولهذا أطلق الملك على الخليج "رأس الرجاء الصالح"، لأنه بعث الأمل في إمكانية الوصول إلى الهند. وتمكن فاسكو دي غاما من الدوران حول جنوبي إفريقيا سنة 1497 ووصل إلى ساحلها الشرقي قرب "موزمبيق"، وهناك تعرف إلى الملاح العربي "أحمد بن ماجد" الذي أرشده إلى طريق الهند، وصل فاسكو داجاما إلى الهند 1498 وعاد سنة 1499 إلى بلاده، وسفنه محملة بالتوابل الشرقية، وبذلك تحقق لبرتغال كشف طريق بحري مباشر إلى الهند، وكان هذا الكشف ضربة اقتصادية للأمة الإسلامي؛ خصوصاً مصر المملوكية، وللمراكز التجارية في حوض المتوسط مثل المدن الإيطالية. ومنذ ذلك التاريخ أخذ البرتغاليون يتاجرون مباشرة مع الشرق دون وسيط. ومن ثم توصلت أوربا إلى فتح طريق الهند.

2- حركة الكشوف الإسبانية:

تختلف حركة الكشوف الإسبانية عن حركة الكشوف البرتغالية. فحركة الكشوف البرتغالية قامت بها البرتغال حكومة وشعبا، أما حركة الكشوف الإسبانية فقد قام بها في البداية مجموعة من المغامرين، في حين أن الهيئات الإسبانية الرسمية اتخذت موقفا معارضا، ومن ثم غير مشجع . وفي حين أن حركة الكشوف البرتغالية قد اتجهت نحو الغرب للوصول إلى الهند، فإن الكشوف الإسبانية قد اتجهت نحو الغرب للوصول إلى الشرق تحقيقا لكروية الأرض.

يعد كريستوف كولومبس (1506-1451) رائد الكشوف الإسبانية، من أصول إيطالية (جنوة) ، كان يؤمن بكروية الأرض وبإمكانه الوصول إلى الشرق عن طريق الغرب. بدأ رحلته من ميناء بالوس (Palos) في غرب إسبانيا يوم 3 أوت 1792، وبعد عدة أسابيع وصل إلى جزيرة غواناهاني، إحدى جزر الباهاماس، ثم أبرح إلى كوبا وهايتي، واعتقد أنه وصل إلى جزر الهند الشرقية. وعاد كولمبس في مارس 1493. ثم قام بثلاث رحلات أخرى في سنوات: 1494، 1498، 1502. اكتشف خلالها الساحل الرئيسي من هندوراس إلى فنزويلا. ومات في سنة 1506، دون أن يعلم أنه اكتشف قارة جديدة.

وقام مغامر إيطالي آخر من فلورنسا وهو أمريغو فيسبوتشي (Amerigo Vespucci) باكتشاف معظم ساحل أمريكا الجنوبية في الفترة من 1499 إلى سن 1501. وكتب في سنة 1503 مقالا ادعى فيه أنه اكتشف العالم الجديد، وأثبت أن الأقاليم التي اكتشفها ليست آسيا ، بل أقاليم جديدة لا علاقة لها بآسيا ، وقد أطلق اسمه على أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية.

وفي سبتمبر 1519 أبحر فرديناند ماجلان (F. Magellan) ، وهو برتغالي من ميناء سان لوكار (San Lucar) في إسبانيا فعبر الأطلسي وسار جنوبا بمحاذاة الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية حتى وصل إلى نهايتها جنوبا، ووجد مضيقا عرف فيما بعد باسمه (مضيق ماجلان)، فعبره إلى المحيط الهادي. وفي مارس 1520 وصل إلى جزر الفيليبين . وفي إحدى هذه الجزر قتل ماجلان في اشتباك مع سكانها. ثم واصل أتباعه الرحلة إلى أسبانيا عبر المحيط الهندي، وطريق رأس الرجاء الصالح حتى وصلوا إلى إشبيلية في سبتمبر 1522. وقد برهنت هذه الرحلة أن الأرض كروية.

3- حركة الكشوف الإنكليزية والفرنسية:

أول محاولة استكشافية حدثت في سنة 1497 عندما أبحر جون كابوت (J.Cabot) من ميناء بريستول عبر المحيط الأطلسي للوصول إلى الهند من خلال طريق آخر، إلا أنه وصل إلى شواطئ أمريكا الشمالية عند جزيرة نيوفوند لاند، غير أن أمله في الوصول إلى الشرق لم يتحقق. وفي السنة التالية قام كابوت برحلة ثانية اكتشف فيها الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية. ونتج عن ذلك تمهيد الطريق لاستعمار بريطانيا لجزء كبير من العالم الجديد.

أما الكشوف الجغرافية الفرنسية فقد بدأت حينما شرع الملاح الفرنسي جاك كارتييه (J. Cartier) في سنة 1524 في القيام برحلات بحرية عبر المحيط الأطلسي، واستطاع أن يصل إلى شواطئ كندا، وبعد كارتييه اهتم الفرنسيون باكتشاف العالم الجديد. وانتهى الأمر بالسيطرة الفرنسية على كندا وحوض نهر الميسيسبي، مما أدى إلى الاصطدام مع الانكليز في سنة 1754. وأدت حركة الكشوف الفرنسية في العالم الجديد إلى احتكار الفرنسيين لتجارة الصيد والفراء في مناطق كندا. كما أدت إلى تنافس استعماري في أمريكا الشمالية مع الانكليز من أجل السيطرة والسيادة في العالم الجديد.